رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم
في معالجة الأخطاء

إعداد:

د. عبد الكريم بن عبد العزيز حمد الشملان

إدارة التعليم بمنطقة الرياض

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم رسل الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، فإن هذا البحث يبرز صفة عظيمة لأعظم رجل وطأت قدماه هذه الأرض، محمد صلى الله عليه وسلم وتجليات صفة الرحمة في أمر مهم وخطير في حياة البشر، وهو حالة الخطأ الذي لا يُعصم منه أحد من البشر. ويهدف البحث إلى إبراز عظمة الإسلام من خلال بيان عظمة رحمة رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم في تعاملاته، وأخلاقه، وتصرفاته مع العموم، ومع المخطئين خصوصاً؛ بما يجذب قلوبهم إلى الإسلام، وإلى الثبات عليه. كما يظهر هذا البحث صفة "الرحمة" بوصفها مقصداً من مقاصد بعثة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم وأن التحلي بها سبب جالب للاستجابة والقبول؛ بل يكشف المفاهيم المغلوطة عن شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من خلال مواقفه مع المخطئين، وتلمس معالم رحمته في التعامل الراقي مع المخطئ، أياً كانت حاله؛ مما يبرز فنون التعامل وآداب العلاقات بين البشر، وكذلك بما ينظم حالة السلوك الإنساني، واستقامتها، وتنظيمها بشكل يتوافق فيه الجانب النظري مع السلوك التطبيقي الفعلي.

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأثنى كذلك على صحابته الكرام؛ فقال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: 29]. وشهد جل جلاله لهم بالرحمة في التعامل فيما بينهم " رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ "؛ للتأكيد على أساس العلاقة التي ينبغي أن تكون بين أفراد الأمة؛ لكي تكون خير أمة أخرجت للناس، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد أن الصحابة رضي الله عنهم هم أفضل الناس وأخيرهم، عن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته" [1].

([1]) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة (3451).

ومع هذه الشهادات وهذا الثناء؛ لكن الإنسان لا يكون بمنأى ومعزل عن حدوث الأخطاء، فالإنسان ليس معصوماً عن الخطأ والقصور والنقص؛ لأسباب متعددة، وقد اتبع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم منهجاً واضحاً، وشاملاً، ومتدرجاً في التعامل مع هذه الأخطاء، ومعالجتها بأساليب تحقق أعلى درجات النجاح، والجودة، والفائدة، والنفع للفرد والمجتمع. ومما يبين عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم أن منهجه لم يعتمد على العقاب لما يصدر من أخطاء؛ إنما اعتمد على منهج "الرحمة" وما يعقبها من أوجه "إحسان" للمخطئين، على حسب حالة المخطئ ونوعه. وهو في معالجته للخطأ، يختار العلاج المناسب له.

وبعد الاستعانة بالله تعالى فقد انتظم عقد البحث في مقدمة، وفصلين، وخاتمة. كما يلي:

المقدمة: تحتوي: مشكلة الدراسة، وأسئلته، وهدفه، وأهميته، وحدوده، ومصطلحاته، ومنهجه، والدراسات السابقة.

الفصل الأول: رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخطئين، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخطئين من غير المسلمين.

المبحث الثاني: رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخطئين من المسلمين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة المخطئين من العاملين.

المطلب الثاني: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة المخطئين من الجاهلين.

الفصل الثاني: صفات الراحم صلى الله عليه وسلم وأساليب رحمته بالمخطئين، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: صفات الراحم صلى الله عليه وسلم بالمخطئين.

المبحث الثاني: أساليب رحمته صلى الله عليه وسلم بالمخطئين.

خاتمة البحث وفيها: نتائج البحث، وتوصياته.

مشكلة البحث:

جاء الدين الإسلامي لينظم للناس شؤون الحياة بمختلف مجالاتها، وفيها الجانب الاجتماعي، الذي مبناه على العلاقات الإنسانية بين الأفراد، إضافة إلى التكوين القيمي لتكامل الشخصية المتوازنة في المجتمع البشري، وإن طبيعة النفس البشرية أن يعتريها النقص والقصور في التكوين البشري أو في العلاقات مع الآخرين، من خلال صفات، أو هفوات، وأخطاء تظهر عبر المواقف والأحوال الحياتية، وتتطلب هذه أساليب وطرائق مناسبة لتعديلها ومعالجتها.

وغننا مأمورون باقتفاء سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والاتصاف بأخلاقه عموماً؛ قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)) [الأحزاب: 21]. والاقتفاء بها في جانب متابعة معالم رحمته في الدعوة إلى التربية والتعليم. ولما كانت مواقف الخطأ تشكل أصعب المواقف التي يقابلها المربون، وتحتاج إلى مزيد من الصفات الذاتية من السياسة في ثبات العلاقات الإنسانية الجيدة، ومن ضوابط شرعية وآداب مرعية؛ كان لزاماً على الدعاة والمربين أن يتعلموا ذلك من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتعاملاته مع المخطئين من حوله من الصحابة وغيرهم؛ لذا تبقى حاجة البشر إلى معرفة منهجية تأصيلية شريعة في إقامة العلاقات الإنسانية التواصلية القائمة على الإحساس والرحمة لمرتكبي الأخطاء (المخطئين).

أسئلة البحث:

في إطار مشكلة البحث السابقة، فإن هذا البحث يحاول الإجابة على الأسئلة التالية:

1. ما مدى أثر ممارسة الرحمة وبذلك الإحسان في معالجة أخطاء المخطئين؟
2. ما أبرز صفات الراحم المطلوبة عند معالجة أخطاء المخطئين؟
3. ما أهم أساليب الرحمة التي ينبغي أن يسلكها من يعالج أخطاء المخطئين؟

هدف البحث:

يهدف البحث إلى وضع استراتيجية تواصلية في العلاقات الإنسانية قائمة على مبدأ الرحمة، وبذل أوجه الإحسان في معالجة الأخطاء، وفق سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ تصحيحاً للخطأ، وبناء للثقة في المنهج، وتثبيتاً على الحق، وتألفاً للقلوب، واستثماراً لذلك في الدعوة إلى الله سبحانه.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من أهمية موضوع الرحمة؛ لتعلقه بإبراز صفة عظيمة من صفات النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في دعوته وتبليغ الرسالة، وأهمية الإسهام في دراسة جزء من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتلمس هداياته، وأوجه إحسانه بالرحمة عند التعامل مع المخطئين، والحاجة إلى إشاعة خلق الرحمة، وأساليب التعامل مع المخطئين عند القيام بعملية التربية، أو دعوة الناس إلى الإسلام، كما تنبع أهمية البحث من أهمية إبراز الصورة الزاهية الراقية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال رحمته بالمخطئين على اختلاف أنواعهم، والرد على مزاعم من اتهم الرسول صلى الله عليه وسلم أو انتقص من قدره.

حدود البحث:

يقتصر البحث على إيراد أوجه الإحسان في رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بمعالجة أخطاء المخطئين خصوصاً، دون أوجه رحمته الأخرى، من خلال اختيار نماذج مما ورد من السنة النبوية الصحيحة.

مصطلحات البحث:

يستخدم في هذه البحث بعض المصطلحات؛ مما يتطلب تقديم تعريفات لها، وهي كالتالي:

أولاً: الرحمة:

أ. التعريف اللغوي: قال ابن فارس: "الراء، والحاء، والميم: أصل واحد، يدل على الرقة، والعطف، والرأفة" [1]. وذكر الزمخشري في أساس البلاغة: "واسترحمته: استعطفته، وتراحموا: تعاطفوا، والمؤمنون متراحمون" [2].

ب. التعريف الاصطلاحي: ذكر الجرجاني أنها "إرادة إيصال الخير" [3]، وأضاف الراغب الأصفهاني دلالة اقتضاء في التعريف فقال: إنها "رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم" [4].

وممن عرف الرحمة النيسابوري في تفسيره فقال: "ترك عقوبة من

يستحقها، أو إرادة الخير لأهله، وأصله: الرقة والتعطف، ومنها الرحم؛ لرقتها وانعطافها على ما فيها" [5].

وهي صفة كمال كما يحدد ذلك ابن القيم؛ إذ يقول: أما "رقة القلب فإنها ناشئة عن صفة الرحمة، التي هي كمال" [6]. ويعرفها موسى العسيري في إضافتها إلى المخلوق بأنها: "رقة يجدها المخلوق في قلبه، تحمله على العطف والإحسان إلى سواه، ومواساته، وتخفيف آلامه" [7].

([1]) معجم مقاييس اللغة: "مادة: رحم".
([2]) أساس البلاغة: مادة "رحم".
([3]) التعريفات، (146).
([4]) المفردات، (191).
([5]) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (1/ 75).
([6]) الروح، (372).
([7]) الرحمة في القرآن الكريم، (22).

ويمكن أن نعرفها إجرائياً بأنها: صفة ذاتية قلبية فطرية ومكتسبة؛ تقتضي إحسان وتفضل نفسي، أو قولي، أو فعلي للغير".

وقد وردت كلمة الرحمة بمشتقاتها في القرآن الكريم (315) مرة. والرحمة صفة من صفات الله جل جلاله أوجبها على نفسه؛ قال تعالى: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الأنعام: 54]. وقال القرطبي "أي: أوجب ذلك بخبره الصدق؛ ووعده الحق، فخوطب العباد على ما يعرفون من أنه من كتب شيئاً فقد أوجبه على نفسه" [1].

كما أن الآية تأتي مبشرة للمؤمنين بكل خير وسعادة، ذكر أبو حيان: "وهذه الجملة مأمور بقولها تبشيراً لهم؛ لسعة رحمة الله، وتفريحاً لقلوبهم... فهذه تبشيراً لعموم الرحمة" [2]، وترتبط رحمة الله سبحانه وتعالى بشريعته من حيث غاياتها وبنائها، قال ابن القيم: "فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه" [3]. ويذكر ابن سعدي أن "الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها.." [4]. وفي السياق التربوي البشري ترتبط الرحمة بإقامة العلاقات الاجتماعية الإنسانية بصورة قوية، ويبرر د. النغيمشي ذلك بقوله: "والرحمة من الخصال الوثيقة بالتفاعل التربوي؛ لما فيها من المشاركة الوجدانية؛ والإحساس بالطرف الآخر، وتقدير حاله" [5].

ثانياً: الخطأ:

أ. التعريف اللغوي: قال ابن فارس (مادة/ خطو أ): "الخاء، والطاء، والحرف المعتل والمهموز يدل على تعدي الشيء والذهاب عنه، والخطأ من هذا؛ لأنه مجاوزة حد الصواب يقال: أخطأ: إذا

([1]) الجامع لأحكام القرآن، (6/ 435).
([2]) البحر المحيط، (4/ 528).
([3]) إعلام الموقعين، (3/ 14).
([4]) الرياض الناظرة – المجموعة الكاملة، (1/ 406 – 408).
([5]) المراهقون، (299).

تعدى الصواب... وخطئ يخطأ: إذا: أذنب، وهو قياس الباب" [1]. وذكر الفيروزآبادي (مادة: خطأ): "والخطأ: ضد الصواب. وما لم يتعمد، وأخطأ: سلك سبيل الخطأ عامداً أو غيره" [2].

ب. التعريف الاصطلاحي: قال الجرجاني: "الخطأ: هو ما ليس للإنسان فيه قصد، وهو عذر صالح لسقوط حق الله – تعالى – إذا حصل عن اجتهاد، ويصير شبهة في العقوبة حتى لا يؤثم الخاطئ، ولا يؤاخذ بحد ولا قصاص" [3]. وذكر الراغب: "الخطأ: العدول عن الجهة..."، ثم ذكر أنه على ثلاثة أضرب، "أحدها: أن يريد غير ما تحسن إرادته فيفعله، وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان... والثاني: أن يريد ما يحسن فعله؛ ولكن يقع منه خلاف ما يريد... والثالث: أن يريد ما لا يحسن فعله، ويتفق منه خلافه" [4]. وعرف أحمد أوزي الخطأ بأنه: "ترجمة لمعرفة ناقصة، وتعبير عن سوء فهم، أو عدم انتباه، أو خلل في سيرورة التعليم والتعلم. كما أنه انعكاس لاضطراب أو لا توازن معرفي يخلق لصاحبه توتراً ذهنياً" [5]. وذكر حسين الجبوري أنه: "كل ما يصدر عن المكلف من قول أو فعل، خالٍ عن إراداته، وغير مقترن بقصد منه" [6]. وإذا كان الخطأ خلاف الصواب ومضاده؛ فإن الكفر خلافه الإسلام؛ بل إن أعلى حالات الخطأ: الكفر على ذلك الاعتبار؛ لأن الإسلام صواب، والكفر خطأ، وضلال، وانحراف.

([1]) معجم مقاييس اللغة، مادة: (خطو أ)، 322.
([2]) القاموس المحيط (مادة: خطأ) 49.
([3]) التعريفات، (134).
([4]) المفردات: (151).
([5]) المعجم الموسوعي لعلوم التربية، (132 – 133).
([6]) عوارض الأهلية عند الأصوليين، (396).

ثالثاً: الإحسان:

أ. التعريف اللغوي: قال ابن فارس: "الحاء، والسين، والنون: أصل واحد، فالحسن: ضد القبح، يقال: رجل حسن، وامرأة حسناء"... والمحاسن من الإنسان وغيره: ضد المساوئ [1]. وقد ذكر الفيروزآبادي "بالضم: الجمال... والإحسان: ضد الإساءة..." [2]. وذكر الزمخشري في أساس البلاغة: "وحسن الحلاق رأسه: زينه" [3].

ب. التعريف الاصطلاحي: قال الجرجاني: "الحسن: هو كون الشيء ملائماً للطبع، كالفرح وهو ما يكون متعلق المدح في العاجل، والثواب في الآجل" [4]. وذكر الراغب في المفردات: "الحسن: عبارة عن كل الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان...". كما ذكر أن الإحسان "زائد على العدل؛ فتحريه ندب وتطوع..." [5].

الدراسات السابقة:

تناولت دراسة د. عادل إسماعيل (2014م)، بعنوان: "خصائص الرحمة عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم" ألواناً من رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم للإنسان، والحيوان، والجماد، والنبات، من خلال استعراض نصوص شرعية من القرآن والسنة في ذلك، وفصل في كل جانب خاصة رحمته بالإنسان من خلال علاقاته وتعاملاته مع من حوله، وبذلك فقد أراد أن يكتشف عظم هذا النبي الكريم، والرد على من وصفه بخلاف ذلك.

([1]) معجم مقاييس اللغة، (مادة: حسن).
([2]) القاموس المحيط، (مادة: الحسن).
([3]) أساس البلاغة، (مادة: حسن).
([4]) التعريفات، (117).
([5]) المفردات، (118 – 119).

بينما تناولت دراسة د. إدريس مقبول (2014م)، بعنوان: "الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، القواعد التخاطبية في التواصل مع الأشخاص ودعوتهم إلى الإسلام حسب الاعتبارات الموقفية والشخصية؛ سعياً من الباحث للدعوة إلى بناء فقه تواصل نبوي. وقد خلص الباحث إلى تحديد أربع استراتيجيات في ذلك: (التضامنية، والتوجيه، والتلميحية، والحجاجية).

أما دراسة د. زياد محمد الخضير (2013م)، بعنوان: "أبعاد أحاديث الرأفة بالعصاة وبغير المسلمين"، فقد تناولت جانب العلاقات الإنسانية من خلال النصوص النبوية، سواء مع المسلمين أو غيرهم، وقيامها على جانب العدل والرحمة وسائر الأخلاق الراقية، خاصة مع العصاة وغير المسلمين، وتأطير ذلك ضمن الحدود والأوامر الشرعية. واتبع الباحث منهج الاستقراء لبعض الأحاديث التي تناولت الموضوع ودراستها دراسة تحليلية؛ لإبراز مواضع رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعصاة وغير المسلمين.

وركزت دراسة محمد حسام الدين خطيب (2007م) دمشق، بعنوان: "هل كان محمد صلى الله عليه وسلم رحيماً؟" على مظاهر رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وبعد البعثة. وقد انطلق في بحثه من شبهة اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لم يأت بغير السيف، وفند هذه الشبهة من خلال محاورته لأحد النصارى، كما أنه استعرض بعض دراسات المستشرقين في الموضوع وناقشتها في ظل الواقع والحقائق، وإثبات مظاهر الرحمة في سيرته، وحياته صلى الله عليه وسلم.

وتتشابه جميع تلك الدراسات فيما بينها في كونها تهدف إلى التعرف على جوانب الرحمة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال المنهج الاستقرائي بالرجوع إلى سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ وتأصيل خلق الرحمة في التعامل من خلال النصوص الشرعية، بينما تحاول هذه الدراسة رصد أحد التطبيقات العملية للرحمة من خلال عرض بعض أصناف المخطئين وإبراز أهمية تشخيص

أحوالهم؛ من خلال جملة من الأحاديث النبوية التي تضمنت بعض الممارسات الخاطئة، وتحديداً للأساليب التي تعامل فيها الرسول صلى الله عليه وسلم لمعالجة تلك الأخطاء.

منهج البحث:

1. استقراء بعض المواقف من السيرة النبوية الصحيحة التي ظهرت فيها الرحمة بالمخطئين؟
2. دراسة تلك الأحاديث والمواقف دراسة تحليلية؛ لاستخراج أوجه الإحسان في الرحمة بالمخطئين، سواء كانت أوجهاً نفسية، أو قولية، أو فعلية.

الفصل الأول

رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخطئين

المبحث الأول

رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخطئين من غير المسلمين

بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة، وأرسل رحمة للعالمين، سواء كانوا مؤمنين أم كافرين؛ قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)) [الأنباء: 107]. ورجح الطبري في تفسيره "أن هذه الرحمة تشمل المؤمنين والكافرين" [1]. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة" [2]. وعندما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادع على المشركين، قال: "إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة" [3].

ومن دلائل رحمته صلى الله عليه وسلم بمعالجة المخطئين من غير المسلمين ما يلي:

1. يروي جابر بن عبد الله، قال: "قاتل النبي صلى الله عليه وسلم محارب خصفة بنخل، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف، فقال: من يمنعك مني؟ قال: "الله"، قال: فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف، فقال له: "من يمنعك مني؟"، قال: كن خير آخذ، قال: "تشهد أن لا إله إلا الله"، قال: لا؛ ولكني أعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال: فخلى سبيله، فجاء إلى أصحابه، فقال: "جئتكم من عند خير الناس" [4].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بغورث بن الحارث، ما يلي:

([1]) تفسير الطبري: (9/ 99).

([2]) أخرجه البخاري: في كتاب التيمم، (328).

([3]) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، (2599).

([4]) أخرجه البخاري: في كتاب المغازي، (3905)، ومسلم في كتاب الفضائل، (843).

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه فلم يعاقبه.

- أن الرسول صلى الله عليه وسلم خلى سبيله، وعفا عنه. قال ابن بطال: "وفيه ترك الإمام معاقبة من جفا عليه وتوعده – إن شاء – والعفو عنه إن أحب، وفيه صبر الرسول صلى الله عليه وسلم وحلمه، وصفحه عن الجهال" [1].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف برحمته لذلك الرجل؛ بل أراد صلى الله عليه وسلم أن يشمل إحسانه في رحمته قوم ذلك الرجل، من خلال ائتلاف قلوبهم عند علمهم بما حدث من عفو النبي الكريم عن رجل منهم؛ "وذلك لشدة رغبة النبي صلى الله عليه وسلم في ائتلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام، لم يؤاخذه بما صنع؛ بل عفا عنه"[2].

2. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له صلى الله عليه وسلم: "أسلم"، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: "أطع أبا القاسم"، فأسلم؛ فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار" [3].

ومن أوجه إحسان الرسول صلى الله عليه وسلم في رحمته بالغلام اليهودي، ما يلي:

- اهتمامه صلى الله عليه وسلم بعيادة أهل الذمة، مع صغر سن من قام بعيادته، ومظنة قصور قدره؛ لأنه كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم.

([1]) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (5/ 101).
([2]) شرح صحيح البخاري، للعيني، (17/ 199).
([3]) أخرجه البخاري، في كتاب الجنائز، (1290).

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه عندما عرض عليه السلام، "حيث عرض النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام على الغلام اليهودي الذي كان يخدمه" [1].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم حرص على أن ينجو ذلك الغلام من النار، فقال: "الحمد لله الذي أنقذه من النار". "فالصبي إذا عقل الكفر ومات عليه؛ يعذب، فلولا صحته ما عرضه عليه" [2]. وفيه "دلالة على أنه صح إسلامه" [3].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحم قوم الغلام، وعمل على ائتلافهم وترغيبهم في الإسلام، وهم على غير ملة الإسلام؛ "لأن فيه إظهار محاسن الإسلام، وزيادة التآلف بهم؛ ليرغبوا في الإسلام" [4].

3. عن سعيد بن أبي سعيد، أنه سمع أبا هريرة يقول: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما عندك يا ثمامة؟"، فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان بعد الغد، فقال: "ما عندك يا ثمامة؟"، قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد، فقال: "ما عندك يا ثمامة؟"، فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أطلقوا

([1]) عمدة القارئ، (8/ 175 – 176).
([2]) إرشاد الساري، (2/ 449).
([3]) فتح الباري، (3/ 221).
([4]) عمدة القارئ، (8/ 175 – 176).

ثمامة". فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك؛ فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي. والله، ما كان من دين أبغض إلى من دينك؛ فأصبح دينك أحب الدين كله إلي. والله، ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك؛ فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قد مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: لا؛ ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنط حتى يأذن فيها رسول الله [1] صلى الله عليه وسلم.

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بثمامة بن أثال، ما يلي:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه؛ رغم أنه جاء لقتله صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر: "ومن الفوائد: المن على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء" [2].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإطلاق سراحه، فقال صلى الله عليه وسلم: "أطلقوا ثمامة" قال العيني: "أمر من الإطلاق" [3].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه؛ بتقديم البشارة له، فقال: "فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن حجر "أي: بخيري الدنيا والآخرة، أو بشره بالجنة، أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة" [4].

([1]) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، (1764).
([2]) فتح الباري، (8/ 88).
([3]) عمدة القارئ، (12/ 261).
([4]) فتح الباري، (8/ 88).

ثم إن من آثار وثمرات إحسانه صلى الله عليه وسلم في رحمته بثمامة، المحبة بعد البغض؛ قال ابن حجر: "لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي صلى الله عليه وسلم من العفو والمن بغير مقابل" [1].

وقال "وإن الإحسان يزيل البغض ويثبت الحب" [2]. وفي قوله "مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إشارة إلى الملاطفة، والارتباط، والمصاحبة".

قال ابن حجر: "أي: وافقته على دينه؛ فصرنا متصاحبين في الإسلام، أنا بالابتداء، وهو بالاستدامة" [3].

- طلب هداية قومه، قال ابن حجر: "وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسرى، إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام؛ ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه"[4].

4. عن ابن عمر رضي الله عنه قال: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما خيرني الله، فقال: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً) [التوبة: 80]، وسأزيده على السبعين"، قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه

([1]) فتح الباري، (8/ 88).
([2]) فتح الباري، (8/ 88).
([3]) فتح الباري، (8/ 88).
([4]) فتح الباري، (8/ 88).

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) [التوبة: 84] [1].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بابن عبد الله بن أبي بن سلول، ما يلي:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم استجاب له فرحمه؛ فأعطاه قميصه ليكفن فيه أباه، "فأعطاه". قال العيني: "أي أعطى النبي صلى الله عليه وسلم قميصه عبد الله" [2].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لابن عبد الله بن أبي بالصلاة على والده، ثم سأله أن يصلي عليه. قال العيني: "ووقعت إجابته إلى سؤاله على حسب ما ظهر من حاله، إلى أن كشف الله الغطاء عن ذلك" [3].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له، كما ورد في رواية القسطلاني في إرشاد الساري "(فاخترت): الاستغفار" [4]. وفي الحديث: "إنما خيرني الله". قال العيني: (أي: بين الاستغفار وتركه، (وسأزيد)، حمل النبي صلى الله عليه وسلم عدد السبعين على حقيقته" [5].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لوالد عبد الله بن عبد الله بن أبي – رحمة منه به – وذلك لأن الصلاة على الميت تتضمن الدعاء له؛ شفقة وتأليفاً لقلب ولده وأقوامهم. قال العيني: "وقصد النبي صلى الله عليه وسلم الشفقة على من تعلق بطرف من الدين، والتأليف لابنه ولقومه،

([1]) أخرجه البخاري: في كتاب التفسير، باب تفسير سورة براءة، (4393).
([2]) عمدة القارئ، (18/ 273).
([3]) عمدة القارئ، (18/ 272).
([4]) إرشاد الساري، (2/ 458)، برقم 1367.
([5]) عمدة القارئ، (18/ 272).

فاستعمل أحسن الأمرين وأفضلهم" [1]. وفي اعتراض عمر رضي الله عنه، على الصلاة على عبد الله بن أبي بن سلول، وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم عليه، ثم نزول قوله تعالى: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً) [التوبة: 80]، يذكر ابن بطال: "فرض على جميع المؤمنين متعين على كل واحد ألا يدعو للمشركين، ولا يستغفر لهم إذا ماتوا على شركهم" [2]؛ لقوله تعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) [التوبة: 113].

ويعقب ابن حجر على الحادثة تعقيباً يجمع بين الأمرين، فيقول: "وإنما لم يأخذ لنبي صلى الله عليه وسلم بقوله (أي: عمر) وصلى عليه؛ إجراء له على ظاهر حكم الإسلام، كما تقدم تقريره، واستصحاباً لظاهر الحكم، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحقق صلاحيته، ومصلحة الائتلاف لقومه ودفع المفسدة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر يصبر على أذى المشركين ويعفو ويصفح؛ ثم أمر بقتال المشركين، فاستمر صفحه وعفوه عمن يظهر الإسلام ولو كان باطنه على خلاف ذلك؛ لمصلحة الائتلاف، وعدم التنفير منه" [3].

5. عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش؛ إذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم مع أبيها، فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال صلى الله عليه وسلم: "نعم، صليها" [4].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بأم أسماء ما يلي:

([1]) عمدة القارئ، (18/ 273).
([2]) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (3/ 351).
([3]) فتح الباري، (8/ 336).
([4]) أخرجه البخاري: في كتاب أبواب الجزية والموادعة، (3012).

- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على أسماء رضي الله عنهما استقبالها لأمها؛ بل رحمها وأشفق عليها، وقدر له إحساسها بالتواصل مع أمها.
- لم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم أم أسماء رضين الله عنهما من دخول المدينة.
- أن النبي صلى الله عليه وسلم راعى رغبة الأم وهي غير مسلمة، خاصة وأنها جاءت "راغبة" أي: مريدة ومندفعة. قال القسطلاني: "راغبة: في بري وصلتي" [1]. ونقل العيني عن الطيبي قوله: "وإذا قرنت "قوله: راغبة" بقوله: "مشركة" أو في عهد قريش، فالمراد: راغبة في صلتي" [2].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم استجاب لأسماء؛ بل وأمرها بمقابلة أمها وصلتها؛ رحمة وشفقة بهما معاً. قال العيني: "من حيث أنه صلى الله عليه وسلم أمر فيه بصلة الوالدة المشتركة، فيدخل فيه الوالد بالطريق الأولى" [3]. وذكر كذلك أنه "مما يستفاد منه: جواز صلة الرحم الكافرة كالرحم المسلمة، وفيه مستدل لمن رأي وجوب النفقة للأب الكافر، والأم الكافرة على الولد المسلم، وفيه موادعة أهل الحرب، ومعاملتهم في زمن الهدنة" [4].
- ومن آثار إحسانه صلى الله عليه وسلم في رحمته بأم أسماء، رغبته في تأليف قلبه على الإسلام، قال ابن بطال: "وكان التأليف على الإسلام حينئذ مباحاً.... وكذلك فعلت أسماء في أمها" [5].

6. عن عائشة رضي الله عنهما قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها؛ فقلت: وعليكم السام واللعنة. قالت: فقال رسول

([1]) أرشاد الساري، (9/ 9).
([2]) عمدة القارئ، (22/ 89).
([3]) عمدة القارئ، (22/ 89).
([4]) عمدة القارئ، (13/ 174).
([5]) شرح صحيح البخاري، (7/ 136)، لابن بطال.

الله صلى الله عليه وسلم: "مهلاً يا عائشة! إن ا لله يحب الرفق في الأمر كله"، فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد قلت: وعليكم" [1].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته برهط اليهود الذين أساؤوا الأدب معه صلى الله عليه وسلم:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم أشفق عليهم ورحمهم؛ فلم يغضب أو ينفعل؛ وإنما طلب من عائشة رضي الله عنهما ألا تغلظ عليهم؛ بل تترفق. قال العيني: "قوله: (مهلاً) معناه: تأني وارفقي" [2].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم أشفق عليهم ورحمهم، من خلال نهيه عن العنف والفحش، واختيار سبيل الرفق. ذكر العيني: "وإنما اختار هذه الصيغة؛ ليكون أبعد عن الإيحاش، وأقرب إلى الرفق" [3].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمهم، من خلال تقرير ما بهم من جهل، وأشفق عليهم من مقابلة جهلهم وسوء أدبهم بمثله، وفي ذلك تعليم للأمة ورحمة بها بالتعريف بهذا الأدب العظيم. قال ابن بطال: "في هذ الحديث أدب عظيم من آداب الإسلام، وخص الرفق بالجاهل والصفح والإغضاء عنه؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك مقابلة اليهود بمثل قولهم؛ ونهى عائشة من الإغلاظ في ردها، وقال: "مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في جميع الأمور" [4].

ومن آثار رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم وإحسانه باليهود، ما أراده صلى الله عليه وسلم من إعطاء صورة القدوة الصالحة في التعامل مع المخطئين للأمة؛ صبراً وطلباً لهدايتهم، ورغبة في كسب

([1]) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، (5678).
([2]) عمدة القارئ، (22/ 113).
([3]) عمدة القارئ، (22/ 114).
([4]) شرح صحيح البخاري، (9/ 226)، لابن بطال.

الأجر والثواب، قال ابن بطال: "والصبر أخلاق النبيين والصالحين؛ فيجب امتثال طريقهم، والتأسي بهم، وقرع النفس المغالبة رجاء ثواب الله على ذلك" [1].

ونخلص مما مضى من مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين؛ تبيين عظمة رحمته صلى الله عليه وسلم وتنوع أوجه إحسانه عليهم، ومن معالم ذلك:

- لم يعاقب صلى الله عليه وسلم المخطئ منهم، ولم يغلظ عليه؛ بل قابل الإساءة والخطأ بالشفقة واللين.
- حرص صلى الله عليه وسلم على الترفق والعفو عنهم، ولم يحمله ما فيه من قوة وسلطة على مقابلة إساءتهم بمثلها.
- اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالتواصل معهم بالزيارة أو السؤال؛ تأليفاً لقلوبهم، وحرصاً في ترغيبهم بالدخول في الإسلام، والعتق من العذاب.
- تقديم البشارة لمن رغب بالإسلام، ودخل في الملة، وفي ذلك مراعاة للحالة النفسية للآخرين.
- تقديم الهدية لهم؛ رغبة في ائتلاف قلوبهم، وترغيبهم في الإسلام، وكسباً لأفئدتهم.
- ميل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كل ما فيه؛ رحمة بهم وشفقة عليهم من دعاء أو استغفار.
- ظهور رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال ربط الابن المؤمن بأبيه غير المسلم، والبنت المسلمة بوالدتها غير المسلمة؛ مراعاة للحالة النفسية للوالدين، ومراعاة للنسب وعاطفة الأبوة والأمومة.

([1]) شرح صحيح البخاري، (9/ 226)، لابن بطال.

المبحث الثاني

رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخطئين من المسلمين

بين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن كل ابن آدم خطاء؛ قال تعالى: (يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) [البقرة: 286]. ولا يعصم من ذلك إلا الأنبياء والرسل في تبليغ الرسالة، كما قرر الرسول الكريم ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابين) [1]. وقال صلى الله عليه وسلم: "تجاوز الله عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه" [2].

والخطأ صفة متعلقة بالبشر من غير الأنبياء والرسل؛ لا يسلم منه أحد، ولا ينجو منه البشر، قال ابن تيمية: "ليس من شرط أولياء الله المتقين ألا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأ مغفوراً لهم؛ بل ليس من شروطهم ترك الصغائر مطلقاً؛ بل ليس من شرطهم ترك الكبائر، أو الكفر الذي تعقبه توبة" [3]. وذكر ابن القيم: "وكيف يعصم من الخطأ من خلق ظلوماً؛ ولكن من عدت غلطاته، أقرب إلى الصواب ممن عدت إصاباته" [4].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم رحيماً في تعامله مع ما يصدر من أخطاء من الصحابة؛ بما يحقق المصلحة العامة والخاصة، سواء أكان المخطئ عالماً أم جاهلاً، وفي كل الحالين كان للنبي صلى الله عليه وسلم منهج دقيق في التعامل مع الأخطاء ومعالجتها بما يراعي الحالات المختلفة.

ويمكن أن تقسيم هذا المبحث إلى قسمين:

([1]) أخرجه الترمذي، (2499)، وابن ماجة، (4251)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (3139).
([2]) ابن ماجة، (1/ 659)، والدارقطني، (4/ 170)، وقال ابن حجر في ظ، (5/ 161): ورجاله ثقات.
([3]) مجموع الفتاوي، (11/ 66 – 67).
([4]) مدراج السالكين، (3/ 522).

المطلب الأول

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة المخطئين من العالمين

1. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "أقبل رجل بناضحين، وقد جنح الليل، فوافق معاذاً يصلي، فترك ناضحه وأقبل إلى معاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل، وبلغه أن معاذاً نال منه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا إليه معاذاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ، أفتان أنت؟! أو أفاتن؟! – ثلاث مرار – فلولا صليت بسبح اسم ربك، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير، والضعيف، وذو الحاجة" [1].

ومن أوجه إحسانه صلى الله عليه وسلم في رحمته بمعاذ رضي الله عنه عندما أطال في قراءته على المأمومين:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه، وأحسن إليه بألا يكون سبباً في تنفير الناس عن صلاة الجماعة. قال القسطلاني: "قوله: (يا معاذ، أفتان أنت؟!). قال ذلك ثلاثاً: أي: منفر عن الجماعة، والهمزة للاستفهام الإنكاري" [2]. فإن ظروف الناس تختلف، وحاجاتهم تتنوع، وقد يتسبب التطويل في القراءة فوات بعض مصالحهم الحياتية؛ فأورد النبي صلى الله عليه وسلم الخطاب بهمزة الاستفهام الإنكارية. قال العيني: "أفتان أنت؟ بهمزة الاستفهام على سبيل الإنكار، ومعناه: أنت منفر؛ لأن التطويل سبب لخروجهم من الصلاة، وللتكره للصلاة في الجماعة [3].

([1]) أخرجه البخاري: في كتاب الجماعة والإمامة، (673).
([2]) إرشاد الساري، (9/ 67).
([3]) عمدة القارئ، (5/ 238).

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه بالإحسان إليه وإلى الأمة جميعاً، خاصة من يؤم الناس في الصلاة بالتخفيف وعدم التطويل بالقراءة. قال العيني: "ومما يستفاد منه: استحباب تخفيف الصلاة؛ مراعاة لحال المأمومين" [1].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه بالإحسان إليه، فلم يعاقبه أو يبعده عن الإمامة؛ إنما عاتبه وبين له أن في التطويل افتتان لبعض الناس، فكان معاذ رضي الله عنه سبباً في هذا الهدي يؤجر عليه إلى قيام الساعة. ذكر النووي عن ذلك، قوله: "(أفتان أنت يا معاذ؟!) أي: منفر عن الدين، وصاد عنه، ففيه الإنكار على من ارتكب ما ينهى عنه؛ وإن كان مكروهاً غير محرم، وفيه جواز الاكتفاء في التعزيز بالكلام، وفيه الأمر بتخفيف الصلاة، والتعزيز على إطالتها إذا لم يرض المأمومين" [2].

2. موقف الصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي أرسل رسالة إلى مشركي مكة يخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جهز جيشاً لفتحها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا حاطب، ما هذا؟". قال حاطب: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق. فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال صلى الله عليه وسلم: "إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم" [3].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بحاطب رضي الله عنه:

([1]) عمدة القارئ، (5/ 240).
([2]) شرح صحيح مسلم، (4/ 182).
([3]) أخرجه مسلم: في كتاب فضائل الصحابة، (2494).

- أن النبي صلى الله علية وسلم نهى عمر رضي الله عنه عندما طلب ضرب عنق حاطب رضي الله عنه بالشهادة له بالفضل؛ لأنه شهد بدراً. قال ابن حجر: "وفي رواية الحارث: "أو ليس قد شهد بدراً؟ وهو استفهام تقرير" [1].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم خاطب حاطباً رضي الله عنه خطاباً يدل على التشريف والتكريم والتقدير، فقال: "اعملوا ما شئتم". قال القسطلاني: "(فقال) – تعالى – مخاطباً لهم خطاب تشريف وإكرام: (اعملوا ما شئتم)" [2].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد له بمغفرة الذنوب، عند قوله: (قد غفرت لكم). قال ابن حجر: "إن المراد: أن ذنوبهم تقع مغفورة" [3]؛ بل والمبالغة في الغفران. ذكر القسطلاني: "عبر عن الآتي بالواقع؛ مبالغة في تحقيقه" [4].

ونقل النووي الإجماع على مغفرة ذنوبه مع أهل بدر "قال العلماء: معناه: الغفران لهم في الآخرة؛ وإلا فإن توجه على أحد منهم حد أو غيره؛ أقيم عليه في الدنيا" [5]. وعقب العيني على خطأ حاطب رضي الله عنه وعفو الرسول صلى الله عليه وسلم عنه بقوله: "وكان ذلك من فعله هفوة وزلة من غير أن يكون لها أخوات، يجوز العفو عنه، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحاطب من عفوه عن جرمه بعدما اطلع عليه من فعله" [6].

3. عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يقال له: ابن اللتبية، على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي لي. قال: "فهلا جلس

([1]) فتح الباري، (12/ 309).
([2]) إرشاد الساري، (5/ 142).
([3]) فتح الباري، (12/ 309).
([4]) إرشاد الساري، (5/ 142).
([5]) شرح صحيح مسلم، (16/ 56).
([6]) عمدة القاري، (14/ 257).

في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر يهدى له أم لا، والذي نفسي بيده، لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه: "اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت" ثلاثاً [1].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته عند معالجة خطأ ابن اللتبية رضي الله عنه ما يلي:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حازماً في التعامل مع خطأ من أؤتمن على أموال المسلمين، ووكل إليه متابعة تحصيل الصدقة، وهي شعيرة، من شعائر الدين؛ لئلا يبوء بالإثم من خلال أخذ الرشوة على العمل، قال النووي: "في هذا الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول؛ لأنه خان في ولايته وأمانته، وقد بين صلى الله عليه وسلم السبب في تحريم الهدية، وأنها بسبب الولاية، بخلاف الهدية لغير العامل؛ فإنها مستحبة" [2].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم عمل على وضع منهج محاسبي؛ لمتابعة من كلف بمسؤولية عامة؛ لكي يسعى المؤتمن إلى مراجعة نفسه، وتصحيح ما قد يتعلق بذمته من حقوق عامة. قال العيني: "وفيه من الفقه جواز محاسبة المؤتمن، وأن المحاسبة تصحح أمانته" [3].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على تحديد ما قد يراه من أخطاء في المجتمع، وبين أثر ذلك وضرره؛ أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وإشاعة تلك الشعيرة بين الناس. ذكر ابن بطال: "وفيه أيضاً أن العالم إذا رأي متأولاً أخطأ في تأويله، يعم الناس ضرره؛ أن يعلم الناس كافة بموضع

([1]) أخرجه البخاري: في كتاب الهبة وفضلها، (2457).
([2]) شرح النووي، (12/ 219).
([3]) عمدة القاري، (9/ 15).

خطئه، ويعرفهم بالحجة القاطعة لتأويلة، وفيه توبيخ المخطئ، وتقديم الأدنون إلى الإمارة، والأمانة، والعمل" [1].

4. عن ابن عباس، قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين، فقال: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة"، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم: "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا" [2].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته عند معالجة خطأ صاحبي القبرين، ما يلي:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحم صاحبي القبرين؛ فأحسن إليهما من خلال توقفه عند قبريهما، وإحساسه بالرحمة تجاههما؛ لأنهما يعذبان، فلم تقتصر رحمته صلى الله عليه وسلم بالأحياء؛ بل امتدت رحمته بالإحسان إلى مرتكبي الأخطاء من الأموات.
- أن النبي صلى الله عليه وسلم أحسن إليهما بالدعاء لهما؛ للتخفيف مما يعانيانه من العذاب. قال ابن حجر عن الخطابي: "هو محمول على أنه دعا لهما بالتخفيف مدة بقاء النداوة، لا أن في الجريدة معنى يخصه، ولا أن في الرطب معنى ليس في اليابس" [3].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمهما، من خلال الإحسان إليهما بسؤاله الشفاعة لهما بالتهوين من العذاب في القبر؛ بسبب عدم الاستتار من البول، أو من السعي بالنميمة بين الناس؛ فقد نقل النووي الإجماع على ذلك "قال العلماء: هو محمول على أنه صلى الله عليه وسلم سأل

([1]) شرح ابن بطال، (3/ 557).
([2]) أخرجه البخاري: في كتاب الوضوء، (213).
([3]) فتح الباري، (1/ 320).

الشفاعة لهما؛ فأجيبت شفاعته بالتخفيف عنهما إلى أن ييبسا. وقيل: يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم يدعو لهما تلك المدة، وقيل: لكونهما يسبحان الله ما دامتا رطبتين" [1].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمهما؛ من خلال الإحسان إليهما عندما أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، ثم غرز في كل قبر واحدة؛ تبركاً بأثره صلى الله عليه وسلم. قال العيني: (لعله أن يخفف عنهما): ذلك من ناحية التبرك بأثر النبي صلى الله عليه وسلم"[2].

5. عن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني والله لأتأخر عن صلاة الغداة؛ من أجل فلان مما يطيل بنا فيها، قال: فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قط أشد غضباً في موعظة منه يومئذ، ثم قال: يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليوجز، فإن فيهم الكبير، والضعيف، وذا الحاجة" [3].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بمن صلى بالناس فطول عليهم بالقراءة؛ ما يلي:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رحيماً بإمام الناس في الصلاة؛ لئلا يكون سبباً في تنفيرهم عن الصلاة والتأخر عنها؛ لأجل فوات بعض المصالح.
- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رحيماً محسناً بالإمام ومن خلفه من المسلمين، من خلال موقفه الحازم والقوي في تعليمهم تعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى والمبادرة من المسؤولين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ذكر ابن بطال ضرورة "الغضب والشدة في أمر الله؛ وذلك من باب الأمر

([1]) شرح مسلم، (3/ 202).
([2]) عمدة القارئ، (3/ 117).
([3]) أخرجه البخاري: في كتاب الجماعة والإمامة، (670).

بالمعروف والنهي عن المنكر، وأجمعت الأمة على ذلك فرض على الأئمة والأمراء أن يقوموا به" [1].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رحيماً بإمام الناس بالصلاة، محسناً إليه في مقابلة خطئه من خلال أسلوب التكرم والتلطف والتعميم في الخطاب، دون التعيير الذي يحرج المخطئ أمام الناس. قال العيني: "(وإن منكم منفرين)، فإن قلت: كان المقتضى أن يخاطب المعلول، قلت: إنما خاطب الكل، ولم يعين المعلول؛ كرماً ولطفاً عليه، وكانت هذه عادته؛ حيث ما كان يخصص العتاب والتأديب بمن يستحقه؛ حتى لا يحصل له الخجل ونحوه على رؤوس الأشهاد" [2].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان رحيماً محسناً في هذا الموقف لعامة الناس؛ حيث أدرك أن إطالة الصلاة تشق على فئام من الناس؛ بسبب ضعفهم، أو كبر أعمارهم، أو مرضهم، أو انشغالهم بحوائج وأعمال وحاجات دنيوية، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يرحم عموم المسلمين؛ بل وأن يقرر ذلك في المجتمع المسلم؛ لكي يكون هناك توازن، وترابط، وتلاحم بين أفراد المجتمع المسلم. قال ابن بطال: "وينبغي للأئمة التخفيف، مع إكمال الركوع والسجود" [3].

6. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: "ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد" [4].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بالصحابية زينب بنت حجش رضي الله عنهما ما يلي:

([1]) شرح ابن بطال، (9/ 293).
([2]) عمدة القارئ، (2/ 106).
([3]) شرح ابن بطال، (9/ 334).
([4]) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، (1099).

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمها؛ فأحسن إليها بألا تحمل نفسها ما لا تطيق في العبادة، أو تتكلف في العبادة، كما قال تعالى: (يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [البقرة: 286]؛ بل المبادرة في إزالة ما يؤدي إلى ذلك؛ أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا، حلوه). قال ابن حجر: "وفيه إزالة المنكر باليد" [1].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحم زينب رضي الله عنهما وأحسن إليها من خلال إشفاقه عليها من التعب والنصب، ووضع لها وللأمة المسلمة الإطار المناسب في العبادة، والميزان الصحيح لأدائها؛ بما يحقق العبادة الصحيحة، ولا يورث آثاراً سلبية على المتعبد. ذكر ابن حجر: "وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة، والنهي عن التعمق فيها، والأمر بالإقبال عليها بنشاط" [2].

- إن النبي صلى الله عليه وسلم رحم زينب رضي الله عنهما فأحسن إليها فأمرها بالراحة، وعدم إرهاق النفس بالعبادة، قال: (فإذا فتر فليقعد). قال العيني: "وفيه: أنه إذا فتر في الصلاة؛ يقعد حتى يذهب عنه الفتور" [3].

ومن خلال ما سبق، يتبين بعض معالم رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم وإحسانه بالمسلمين، كما يلي:

- عنايته صلى الله عليه وسلم بمصالح الأمة، وتقدير حاجات الناس.
- تقدير أصحاب الفضل، وإنزالهم منازلهم، وتشريفهم وتكريمهم.
- الحزم والجدية في تعظيم شعائر الله سبحانه.
- تقدير شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

([1]) فتح الباري، (3/ 73).
([2]) فتح الباري، (3/ 73).
([3]) عمدة القارئ، (7/ 209).

- الدعوة إلى التوازن في العبادة، وعدم إجهاد النفس أو تحميلها فوق طاقتها.

المطلب الثاني

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة المخطئين من الجاهلين

1. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً بال في المسجد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيه، فقالوا: مه مه، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "دعوه لا تزرموه"، فلما فرغ دعاه، فقال: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا القذر؛ إنما هي لذكر الله والصلاة"، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فشنه عليه شناً وتركوه" [1].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بمن بال في المسجد، ما يلي:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه، وأحسن إليه بعدم معاقبته، أو الإغلاظ عليه بالقول؛ بل إنه خطأ من انفعل عليه من الصحابة، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تزرموه". قال العيني: "أي: لا تقطعوا عليه بوله". وذكر من فوائد الحديث "مراعاة التيسير على الجاهل، والتأليف لقلبه" [2]. وذكر أن بطال: "وأمر ألا يهاج حتى يفرغ من بوله؛ تأنيساً له، ورفقاً به فدل ذلك على استعمال الرفق بالجاهل – فإنه بخلاف العالم – وترك اللوم له، والتثريب عليه" [3].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه وأحسن إليه؛ بأن طلب من الصحابة تركه حتى ينتهي مما هو فيه، قال صلى الله عليه وسلم: "دعوه" لئلا يضر بنفسه بقطع البول، أو أن يلحق الضرر والنجاسة بنفسه أو بالمسجد". قال القسطلاني: (دعوه): أي أتركوه يبول في موضعه؛ لأنه لو

([1]) أخرجه مسلم: في كتاب الطهارة، (285).
([2]) عمدة القارئ، (3/ 125).
([3]) شرح ابن بطال، (9/ 226).

قطع عليه بوله لتضرر، ولو أقاموه في أثنائه؛ لتنجست ثيابه وبدنه، ومواضع كثيرة في المسجد" [1].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه وأحسن إليه بأن "دعاه فقال له: إن هذه...". وفي ذلك مراعاة لحالته النفسية، ورداً لانفعالاته السلبية، وتقديراً لإنسانيته، وعدم زيادة حرجه أمام الناس. قال ابن حجر: "وفي الحديث رأفة النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه" [2].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه وأحسن إليه بأن علمه بنفسه بالحسنى، ولم يوكل تعليمه لأحد آخر، وفي ذلك تواضع وخلق عظيم، فقال له: "إن هذه المساجد لا تصلح...". وحدد صلى الله عليه وسلم الآداب التي ينبغي أن يتمثلها المسلم في المسجد. قال ابن حجر: "ومن فوائد الحديث: الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، إذا لم يكن ذلك منه عناداً، ولا سيما إذا كان ممن يحتاج إلى ائتلافه" [3].

2. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي؛ فجبذ بردائه جبذة شديدة. قال أنس: فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك؟ فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء" [4].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بالأعرابي الذي جذبه جذبة شديدة.

([1]) إرشاد الساري، (9/ 76 – 77) برقم 6126.
([2]) فتح الباري، (1/ 325)
([3]) فتح الباري، (1/ 325).
([4]) أخرجه البخاري: في كتاب الخمس، (1057).

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه، وأحسن إليه، فلم يعاقبه، وهو قادر على ذلك، ولم يغلظ عليه القول. قال العيني: "وفيه: لطف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلمه وكرمه، وأنا لعلي خلق عظيم" [1].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه وأحسن إليه، بأن كانت ردة فعله صلى الله عليه وسلم متسامحة؛ بل في قمة التسامح، والدفع بالحسنى؛ بل إلى درجة الضحك وليس السخط (فالتفت إليه فضحك)، فكانت تعابير وجهه وتهلله لها أثرها في نفسية ذلك الأعرابي الجاهل، كما قال تعالى: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن) [فصلت: 34].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه، وأحسن إليه بهذا التصرف؛ تأليفاً لقلبه، كما هو إحسان للأمة للاقتداء به. قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث بيان حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز على جفاء من يريد تألفه على الإسلام، وليتأسى به الولاة بعده في خلقه الجميل من الصفح والإغضاء، والدفع بالتي هي أحسن" [2].

- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه، وأحسن إليه بأن أعطاه عطاء، فكان صلى الله عليه وسلم بخلقه العظيم مثالاً يحتذى، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)) [الأحزاب: 21]. ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم معاقبته؛ بل اهتم به، "والتفت إليه"، ثم زاد درجة في الإحسان بأن "أمر له بعطاء"، فأي خلق أعظم من هذا الخلق مع أعرابي جاهل، وأي إحسان أبلغ من هذا التدرج في مراحله.

([1]) عمدة القارئ، (15/ 73).
([2]) فتح الباري (10/ 506).

3. عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني؛ لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه؛ فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني – قال: "إن هذه الصلاة، لا يصلح فيها شيء من كلام الناس؛ إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن" [1].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بالرجل الذي شمت العاطس أثناء أداء الصلاة:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعنفه بالقول أو بالفعل، بسبب كلامه أثناء الصلاة؛ بل رفق به وعامله بغاية اللطف والشفقة؛ إلى حد أن افتداه معاوية رضي الله عنه بأبيه وأمه، قال: "فبابي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه".
- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه، وأحسن إليه ببيان الخطأ وإيضاحه بشكل عام، دون إحراجه أمام الملأ؛ مما قد يؤثر في نفسيته، (إن هذه الصلاة لا يصلح).
- أن النبي صلى الله عليه وسلم رحمه، وأحسن إليه بحسن تعليمه له، وللأمة المسلمة، قال النووي: "فيه بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق الذي شهد الله – تعالى – له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه" [2].

([1]) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (537).
([2]) شرح النووي، (5/ 20).

4. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فأغلظ له، فهم به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لصاحب الحق مقالاً، فقال لهم: اشتروا له سناً فأعطوه إياه. فقالوا: إنا لا نجد إلا سنا هو خير من سنه. قال: فاشتروه فأعطوه إياه؛ فإن من خيركم أو خيركم أحسنكم قضاء" [1].

ومن أوجه إحسان النبي صلى الله عليه وسلم في رحمته بالرجل الذي تقاضاه فأغلظ:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم منع الصحابة من إيذاء الرجل، أو معاقبته لما هموا به، عندما أغلظ في قوله للرسول صلى الله عليه وسلم فقال: (إن لصاحب الحق مقالاً). قال العيني: "وهذا من غاية حلمه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم" [2].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم بادر بإعطائه حقه، فلم يظلمه جراء إغلاظه فمنعه حقه؛ بل لم يتردد في ذلك أو يؤخر الأمر، فقال: (اشتروا له سناً). قال ابن حجر: "وفيه حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وعظم حلمه وتواضعه، وإنصافه، وأن من عليه دين لا ينبغي عليه مجافاة صاحب الحق" [3].
- أن النبي صلى الله عليه وسلم بالغ في الإحسان إليه وإنصافه، عندما ذكر الصحابة رضي الله عنهم أنه لا يوجد إلا أكبر من استحقاقه فقال صلى الله عليه وسلم: (فأعطوه إياه، فإن من خيركم أو خيركم أحسنكم قضاء).

ومن خلال ما سبق، يتبين بعض معالم رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم في التعامل مع أخطاء العالمين من المسلمين، كما يلي:

([1]) أخرجه مسلم: كتاب المساقاه، (1601)
([2]) عمدة القارئ، (12/ 136).
([3]) فتح الباري، (5/ 57).

- مراعاة عدم تضرر الإنسان، أو المكان، وحصر المشكلة والقضاء عليها.
- عدم إحراج المخطئ أمام الناس، والعناية بمشاعره.
- استغلال المواقف في نصح الأمة، وتعليمها.
- التسامح وعدم الانتصار للنفس.
- الإحسان والتفضيل في التعامل، والعطاء لأجل تأليف القلوب.

الفصل الثاني

صفات الراحم صلى الله عليه وسلم وأساليب رحمته بالمخطئين

المبحث الأول

صفات الراحم صلى الله عليه وسلم بالمخطئين

بعث الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً للنبيين والمرسلين، قال تعالى: (وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) [الأحزاب: 40]، وأثنى جل جلاله على نبيه الكريم بالصفات العظيمة، والأخلاق الكريمة؛ فقال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)) [القلم: 4]. قال ابن عطية: "وإنما مدحه – تعالى – بكرم السجية، وبراعة القريحة، والملكة الجميلة، وجودة الضرائب" [1]. وفي الآية إشارة إلى مدى الارتباط القوي، والتمثل الكامل الشامل بين أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته، وبين أوامر القرآن الكريم ونواهيه، قال ابن كثير: "ومعنى هذا: أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقاً تطبعه، وترك طبعه الجبلي؛ فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء، والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خلق جميل" [2].

ومن كان هذا طبعه، وهذه سجيته؛ فلا ريب أنه مرتق في سلم التميز، وجدير بأن يقتدى به؛ لأنه أعظم الرجال، ذكر الشنقيطي في تفسيره: "والخلق العظيم: أرقى منازل الكمال في عظماء الرجال" [3]. ويؤكد القاضي عياض: "بأن خصال الجمال والكمال في البشر نوعان: ضروري دنيوي اقتضته

([1]) المحرر الوجيز، (5/ 346).
([2]) تفسير القرآن العظيم، (8/ 208).
([3]) أضواء البيان، (8/ 246).

الجبلة، وضرورة الحياة الدنيا، ومكتسب ديني، وهو ما يحمد فاعله، ويقرب إلى الله – تعالى – زلفى، والرحمة من النوع الثاني" [1].

وإن سيرته صلى الله عليه وسلم لتشهد بأنه "(رحمة مهداة)، وأنه غرس معاني الرحمة في أصحابه، وأوصاهم بها، وملأ تعاليمه بذكرها" [2]، ولعل من المهم في جانب تلمس هدايات رحمته صلى الله عليه وسلم في معالجة المخطئين أن نتبين شيئاً من صفاته المتعلقة بذلك:

1. اللين:

قد أثنى الله جل جلاله على رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة؛ لما لها من أثر في إقامة العلاقات الطيبة، وتحقيق اللحمة والترابط بين أفراد المجتمع؛ قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [آل عمران: 159]. قال الطبري: "فتأويل الكلام: فبرحمة الله يا محمد، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك؛ "لنت لهم" لاتباعك وأصحابك، فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك؛ حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم من جرمه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه؛ لتركك وفارقك ولم يتبعك، ولا ما بعثت به من الرحمة؛ ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة الله لنت لهم" [3]. ويقرر القرطبي تلك الصفة، وأنها تفضل من الله سبحانه وتعالى: "فبما" صلة فيها معنى التأكيد، أي: فبرحمة" [4].

وكان دأب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الرحمة بكل معانيها وأساليبها؛ لما اتصف به قلبه صلى الله عليه وسلم من عظمة إيمان، وقوة تصديق؛ فظهر أثر ذلك في تعاملاته مع صحابته، قال ابن القيم: "فإذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد، وامتلأ من محبة الله وإجلاله؛ رق وصارت فيه

([1]) الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى، (45).
([2]) السيرة النبوية الصحيحة، (2/ 638).
([3]) جامع البيان، (7/ 341).
([4]) الجامع لأحكام القرآن، (4/ 248).

الرأفة والرحمة، فتراه رحيماً رقيق القلب بكل ذي قربى" [1]. وتتأكد صفة اللين في المربي؛ لما لها من أثر نفسي كبير في المتربي؛ مما يوجد علاقة إيجابية فعالة، "فتأتي الرحمة التي حث عليها الإسلام في كل شيء، والرفق الذي دعا إليه ليقيما التوازن؛ ويحفظا الاعتدال في هذه العلاقة" [2]. كما أن من المعول عليه في هذه الصفة تحقيق المطلوب في المعالجة للأخطاء؛ "فاللطف في المعاملة سبيل لنوال كثير من المقاصد" [3].

وقد بين ابن الجوزي أثر اللين في المخاطبة على المخاطب، قال: "فالله الله أن تحدث مخلوقاً من العوام بما لا يحتمله، دون احتيال وتلطف؛ فإنه لا يزول ما في نفسه، ويخاطر المحدث له بنفسه، فكذلك كل ما يتعلق بالأصول" [4]، ويظهر أثر صفة اللين وارتباطها برحمة المخاطب، وإقباله على الناصح وتقبله للنصحية، فالأسلوب "يكون ليناً، والمتحدث لبقاً، دمث الخلق؛ مما يسبب انشراح الصدر للسماع، بعكس الأسلوب الجاف الذي يؤدي إلى المكابرة والنفور" [5].

وتظهر صفة الرحمة بالمخطئ والإحسان إليه متلبسة باللين في التعامل في مواقف وحالات معينة، ترتبط إما بغير المسلم، أو بالجاهل ومن في حكمه. أما في حالة الخطأ في أمر شرعي ممن هو متصف بالعلم والمعرفة، فيظهر أسلوب الحزم والشدة، قال ابن حزم: "وأما الغلظة والشدة في ذلك للقادر على إقامة الحد خاصة" [6].

ويعدد د. فضل إلهي أصولاً للعدول من اللين إلى الشدة، بما يلي [7]:

1. عند انتهاك حرمات الله سبحانه.

([1]) الروح، (372).
([2]) العلاقة بين الطالب والمعلم، (25).
([3]) آداب الفتى، (106).
([4]) صيد الخاطر، (371).
([5]) العلاقات الإنسانية في الإسلام، (152).
([6]) مداوة النفوس وتهذيب الأخلاق، (75).
([7]) مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، (180).

2. عند إقامة الحدود.

3. عند ظهور العناد والاستهزاء بالدين.

4. عند بدور مخالفة الشرع لدى من لا يتوقع منه.

2. حسن الخلق:

إن من أهم صفات الراحم بالمخطئ والإحسان إليه، ما ينبغي أن يتمتع به من حسن الخلق، ولا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان "أعلى الناس قدراً، وأعظمهم محلاً، وأكملهم محاسناً وفضلاً" [1].

ومن خلال سيرته صلى الله عليه وسلم وتعاملاته مع أمته؛ يظهر عظم أخلاقه القولية والفعلية، ذكر صفي الرحمن المباركفوري: "وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر، سهل الخلق، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، وكان أكثر الناس تبسماً" [2].

كما أن حسن الخلق من أبرز ملامح الرحمة التي أرسل بها صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء: 107] قال أبو السعود: "ما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك رحمة لهم، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين، ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين، ومن لم يغتنم مغانم آثاره، فإنما فرط في نفسه وحرمه حقه؛ لا أنه – تعالى – حرمه مما يسعده" [3].

وتظهر دلالة هذه الرحمة التي اختص بها صلى الله عليه وسلم ومدى عظمتها وآثارها من خلال تنكير كلمة "رحمة". قال ابن عاشور: "وتنكير" رحمة" للتعظيم؛ إذ لا مقتضى لإيثار التنكير في

([1]) الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى، (47).
([2]) روضة الأنوار، (243).
([3]) إرشاد العقل السليم، (6/ 89).

هذا المقام غير إرادة التعظيم؛ وإلا لقيل: إلا لترحم العالمين" [1]. ومن آثار رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته: تحقيق السعادة لهم، ذكر الشنقيطي: "لأنه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع؛ فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك النعمة العظمى" [2].

3. العلم بأحوال المخاطبين:

إن من الأمور المهمة في تمثل الرحمة عند التعامل مع المخطئين، أن يكون المتعامل عالماً بأحوال الناس، فكل نوع من البشر يحتاج إلى أسلوب وطريقة في التعامل؛ لكي يتحقق الهدف، ويصلح الخطأ، وتثمر التربية. ومن المهم "معرفة الفروق الفردية عند تصحيح أخطاء الآخرين، فكلما زادت معرفة المعلم بهذه الفروق الموجودة بين التلاميذ؛ سهل تدريبهم وتوجيههم نحو تحقيق الأغراض التربوية المختلفة" [3].

وكما أن مغاليق الأبواب لها مفاتيح، فكذلك مغاليق النفوس لها مفاتيح؛ فلا بد أن يتصف الراحم بالمفاتيح التي من خلالها يتيسر له التعامل مع مختلف النفوس البشرية؛ وتقصر الزمن اللازم للتأثير وتحقيق الاستجابة المناسبة، والتأثر بالإقلاع عن الخطأ، والسعي نحو تمثل الحق والانصياع له. ذكر فضل إلهي في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم: "فاستعمل صلى الله عليه وسلم الرفق بالجاهل، واستخدم الشدة مع من صدر منهم ما لا يتوقع منهم ذلك؛ لطول صحبتهم له صلى الله عليه وسلم" [4].

([1]) التحرير والتنوير، (17/ 165).
([2]) أضواء البيان، (4/ 251)
([3]) علم نفس الفروق الفردية وتطبيقاتها التربوية، (121).
([4]) مرعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة، (86).

4. تقدير الموقف وتشخيص الخطأ:

يعتمد النجاح في معالجة الخطأ على ما يتصف به الراحم في إحسانه إلى المخطئ على حسن تقديره للموقف الخطأ عموماً، والتمكن العقلي من تحليل الخطأ وتشخيصه، وأن تكون النظرة موضوعية واقعية، فعبد الله بن عمرو قال: أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أقول: "والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت"، فقلت به: "قد قلته بأبي أنت وأمي"، قال: (فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر وقم ونم وصم من الشهر ثلاث أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر)، قلت: "إني أطيق أفضل من ذلك"، قال: (فصم يوماً وأفطر يومين)، قلت: "إني أطيق أفضل من ذلك"، قال: (فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام وهو أفضل الصيام) فقلت: "إني أطيق أفضل من ذلك"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا أفضل من ذلك) [1]، يذكر د. النغيمشي عن ذلك: "وهي قدرة المربي على تقدير الموقف والموضوع، والتعامل معه في أقصى حد ممكن من الاستطاعة، حسب ما يتطلبه الحال أو الشخص، وبما يؤدي إلى تحقيق الأهداف، وذلك ضمن الضوابط الشرعية" [2].

ومن تقدير الموقف أن يتعرف الراحم على مدى مستوى عقلية المقابل، فبحسبما يختار الأسلوب المناسب للتغيير، فعن المعرور بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك. فقال: إني سابيت رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم) [3]،

([1]) أخرجه البخاري: في كتاب الصوم، (1875)

([2]) علم النفس الدعوي، (303).

([3]) أخرجه البخاري: في كتاب الإيمان، (30).

قال ابن سعدي: "وعلى المعلم أن ينظر إلى ذهن المتعلم، وقوة استعداده أو ضعفه" [1]. كما ينبغي أن يهتم بردود أفعال المخطئين، وأن يكون لديه البدائل المناسبة لمقابلتها، قال ابن الجوزي عن ذلك المخطئ في فصل عقده عن التأني في معاملة الناس: "إن اعتذر قبلت، وإن أخذ في الخصومة صفحت، وأريته أن الأمر قريب" [2].

وبناء على ما يظهر للراحم من تحليل لشخصية المخطئ؛ فإنه يتصرف بما يناسب ذلك، ذكر د. النغيمشي أنه ينبغي "أن ينظر إلى المتربي من خلال قدراته، فلا يحمله ما لا يطيق، ولا يخاطبه بما لا يفهم، ولا يعامله لما يفوق مرحلته العمرية، ولا يحاسبه على ما لا يكون في وسعه" [3].

5. التوازن الاتصالي:

إن مما يجدر بالراحم عند إحسانه في التعامل مع عيوب المخطئين، أن يتصف بالأسلوب المناسب، سواء كان في الخطاب اللفظي، أو التصرف الحركي. ومن جانب الخطاب يذكر د. النغيمشي: "أو يكون هناك عناية بحسن الخطاب، والحوار مع المتعلم؛ حسن الإنصات له" [4]. كما أن التوجيه غير المباشر في تصحيح الأخطاء له أثره في رحمة المخطئ والإحسان إليه، بحيث لا يقع في حرج أمام الملأ، يذكر ابن حميد: "أن التوجيه غير المباشر من شأنه أن يتخطى أو يتفادى التصادم مع كثير من العقبات النفسية المختلفة" [5].

وكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أن يوجه بشكل عام إن رأي خطأ أو تجاوزاً من أحد الصحابة فيعمم الخطاب، يقول الرحيلي: "وأما النطق بعيوب الناس؛ فعيب كبير لا يسوغ أصلاً،

([1]) فوائد في أدب المعلمين والمتعلمين، (13).
([2]) صيد الخاطر، (304).
([3]) علم النفس الدعوي، (299).
([4]) علم النفس الدعوي، (304)
([5]) التوجيه غير المباشر وأثره في التربية وتغيير السلوك (16).

والواجب اجتنابه" [1]. كما أنه يتضح من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيما سبق من أمثلة الفصل الأول؛ حلمه في تعامله مع كل من أخطأ عليه من الجهال، ذكر ابن حزم: "والمداراة فضيلة متركبة من الحلم والصبر" [2].

وعندما يتصف الراحم بتلك الصفات، ويتمثلها في نفسه، ويصطبغ بها أسلوبه؛ فإنه لها أثراً بالغاً في بناء علاقات إنسانية متجذرة، وإلى أبعاد نفسية إيجابية قائمة على التفاعل المتبادل والارتياح العاطفي؛ مما يقرب القلوب، ويبني جسور التواصل؛ وعندها يحدث التأثير. قال النغيمشي: "والمربي عموماً إذا اتسم بالحصافة والنباهة، اللتين تهديانه إلى ايصال التوجيه والخبرة للمتربي بطريقة عفوية نابعة من ذات البيئة التربوية وظروفها، وبأسلوب غير مباشرة ولا ملول؛ فإنه يستطيع بناء علاقة أوثق، وتفاعل تربوي أعمق" [3].

المبحث الثاني

أساليب رحمته صلى الله عليه وسلم بالمخطئين

بعد تناول بعض أهم صفات الراحم لمن يتلبس بالخطأ، من خلال النظر والتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم؛ ناسب أن نستعرض شيئاً من أهم الأساليب المستخدمة في التعامل عند معالجة الأخطاء. وما تلك الأساليب والطرائق إلا مؤشر على مدى ما تخلق به النبي صلى الله عليه وسلم من أخلاق عالية، ومن رحمة وشفقة بأمته، وبها أرسل صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)) [الأنبياء: 107]. قال ابن عاشور: "ووقوع الوصف مصدراً يفيد المبالغة في هذا الاتحاد، بحيث تكون الرحمة صفة متمكنة من إرساله.. وتفضيل ذلك يظهر في مظهرين:

([1]) الأخلاق الفاضلة، قواعد ومنطلقات لاكتسابها (179).
([2]) مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق (70).
([3]) علم النفس الدعوي (289).

الأول: تخلق نفسه الزكية بخلق الرحمة، والثاني: إحاطة الرحمة بتصاريف الشريعة.. أي: ما فيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم؛ لأن قوله تعالى: (للعالمين) متعلق بقوله: (رحمة)" [1].

وإن من أهم مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم ما يظهر في تعاملاته مع أمته من أساليب حانية، وطرائق محببة؛ تقرب النفوس للنفوس، وتؤلف القلوب، وتكسب الحب والمودة، وتزيد من الثبات على الإيمان؛ قال تعالى: (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61)) [التوبة: 61]. قال الطبري: "ورحمة، بالرفع عطفاً بها على "الأذن"، بمعنى: وهو رحمة للذين آمنوا منكم، وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه، وصدق بما جاء به من عند ربه؛ لأن الله استنقذهم به من الضلالة، وأورثهم باتباعه جناته" [2].

وقد بين أبو حيان وجه تخصيص الرحمة بالمؤمنين، وإن كان صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بقوله: "لأن ما حصل لهم بالإيمان بسبب الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحصل لغيرهم، وخصوا هنا بالذكر، وإن كانوا قد دخلوا في العالمين؛ لحصول مزيتهم" [3].

وتحتوي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم على كم كبير من الأساليب الرحيمة في تعامله صلى الله عليه وسلم عند معالجة المخطئين، ومنها:

1. العفو، والاستغفار، والمشاورة:

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، وجعله معرضاً للخطأ، قال صلى الله عليه وسلم: (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون) [1]. وتتنوع أسباب الخطأ وتتعدد، وفي ذلك يذكر ابن الجوزي أن

([1]) التحرير والتنوير، (17/ 166).
([2]) جامع البيان، (14/ 328).
([3]) البحر المحيط، (5/ 449).

من المخطئين: "الجاهل بالخطأ "المحظور"، الظان بأن المحظور مكروه وليس بمحرم، المتأول، المخطئ عن شهوة، العالم بالخطأ، المغتر بالعفو" [2]. ويذكر الرحيلي أن من أسباب وقوع الإنسان في الخطأ "غفلته عن موقعه، وعن اللائق به... وغلبة الشهوة والهوى... أو أن يقع فيه عفواً من غير قصد" [3]. ولأجل مقابلة تلك الأخطاء ومعالجتها، يوجه الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) [آل عمران: 159]؛ حيث يرشد الله جل جلاله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى الطريقة التي يتعامل فيها مع أصحابه، خاصة ما يواجهه من أذى ونحوه. قال الطبري: "فاعف عنهم"، فتجاوز يا محمد عن أتباعك وأصحابك من المؤمنين بك، وبما جئت به من عندي، ما نالك من أذاهم ومكروه في نفسك، واستغفر لهم، وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم، واستحقوا عليه عقوبة منه" [4]. وإن في ذلك الأسلوب لأثراً جلياً فيمن يصدر منه الخطأ أو التقصير. يذكر الطبري عن تطبيق ذلك الأسلوب من قبل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم "تألفاً منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيري التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان" [5].

ويلفت القرطبي إلى سر ذلك التدرج الوارد في الآية بوصفه أسلوباً من أساليب التعامل مع الآخرين عند معالجة أخطائهم، وتوجيه سلوكياتهم: "أمر الله – تعالى – رسوله بهذه الأوامر التي هي بتدريج بليغ، وذلك أنه أمره بأن يعفو صلى الله عليه وسلم عنهم ما له في خاصته عليهم من تبعة وحق، فإذا صاروا في هذه الدرجة؛ أمره أن يستغفر لهم فيما لله عليهم من تبعة، فإذ صاروا في هذه الدرجة؛ كانوا أهلاً للاستشارة في الأمور" [6]. وإن من الأهمية بمكان أن يعتمد أسلوب الناصح الرحيم على عملية تتبع الخطأ، وتحليله، ثم العمل على تنظيم عملية معالجته على شكل معالم أو مبادئ، مراعياً

([1]) أخرجه الترمذي، (2499)، وابن ماجة، (4251)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (3139).
([2]) صيد الخاطر، (32).
([3]) الأخلاق الفاضلة، قواعد ومنطلقات لاكتسابها، (110 – 111).
([4]) جامع البيان، (7/ 343).
([5]) جامع البيان، (7/ 345).
([6]) الجامع لأحكام القرآن، (4/ 249).

فيها جوانب الشخصية الإنسانية الاجتماعية، والانفعالية، والجسدية، بشكل واقعي متوازن منتظم منضبط، وفي ذلك يؤكد الأقصري على "أهمية تشخيص أسباب المشكلة، عن طريق الوقوف على كافة الظروف والملابسات التي تعين على تحري الحقيقة، والتعرف على تفاصيل الشخصية، والنشأة، والميول، ودرجة الذكاء، والثقافة" [1].

ولا ريب أن في التحليل العميق لشخصية الإنسان، واختيار الأسلوب المتلائم في التعامل لأثراً كبيراً في تعديل المعوج، وتصحيح الخطأ.

2. التواصل التربوي ومراعاة النفسيات:

أثنى الله جل جلاله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في علاقته مع أمته وتعاملاته معهم بأنه " رحمة"؛ قال تعالى: (وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ) [التوبة: 61]. قال أبو السعود: "وهو رحمة، بطريق إطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة، (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: 29]، أي: للذين أظهروا الإيمان منكم، حيث يقبله منهم؛ لكن لا تصديقاً لهم في ذلك؛ بل رفقاً بهم، وترحماً عليهم، ولا يكشف أسرارهم، ولا يهتك أستارهم" [2].

كما وجه الله – جل وعلا – أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المنهج الذي ينبغي أن يتبع عند التعامل مع بعضهم؛ قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: 29]. قال القرطبي: "أي: يرحم بعضهم بعضاً" [3]. وبتحقيق هذه الرحمة المتبادلة؛ يحصل التواصل الإنساني الإيجابي المثمر؛ حيث إنه "يزيد من قدرتنا على توجيه مختلف الأعمار، والتحكم في العوامل والمؤثرات التي تؤثر في النمو؛ بما يحقق التغيرات المفضلة لدينا، ويوقف التغيرات

([1]) كيف نفهم الشباب ونتعامل معهم، (141).
([2]) إرشاد العقل السليم، (4/ 77).
([3]) الجامع لأحكام القرآن، (16/ 292).

السيئة" [1]. كما أن غاية التواصل الإنساني إحداث التفاعل الاجتماعي المناسب، وإحداث التغيير الإيجابي، وتعديل السلوك البشري. ويذكر د. حامد زهران: "أن التفاعل الاجتماعي هو ما يحدث عندما يتصل فردان أو أكثر، ويحدث نتيجة لذلك تعديل للسلوك" [2]. وبقدر ما يكون ذلك التواصل الإنساني مبنياً على أسس وقواعد دقيقة، ومراعياً لمختلف العوامل المحيطة؛ فإنه يكون تغييراً مستمراً، سريعاً، عميق الجذور، واسع النطاق، هادف المقصد، منطلق السريرة" [3].

3. الإقناع العقلي:

إن من أساليب الراحم في إحسانه إلى المخطئ في معالجته لخطئة، اللجوء إلى سبيل الإقناع بالحجة، ومن ذلك قصة الشاب الذي طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الإذن بالزنا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتحبه لأمك..." [4]. وقد أكد الحسين جرنو على "تنويع وسائل الإقناع العقلي للمخالف، وفي ذلك تنبيه على أمور قد تخفي على ذهن المخطئ، أو يغفل عنها" [5]. كما أكد على أثر الإثارة الوجدانية [6] في معاونة العقل على التفاعل عند معالجة الخطأ، والسعي إلى التصحيح؛ لأن الفرد المخطئ يحتاج إلى مزيد تفكير وتأمل في حاله ومآله، إن كان لديه قصور في معرفة ما آلت إليه الأمور، أو ضيق أفق في علمه. ويذكر النغيمشي: "أن النظر والتأمل عملية فكرية ذاتية يقوم بها الفرد، ويحفزها ما يعيش فيه الفرد من وسط كوني، وحياتي، وإنساني، ثابت ومتجدد، ويمثل مجالاً للتفكير والتدبر" [7].

([1]) علم نفس النمو، (13).

([2]) علم النفس الاجتماعي، (203).

([3]) علم النفس الاجتماعي، (215).

([4]) أخرجه أحمد في المسند، (36/ 545)و برقم 22211. قال الهيثمي في مجمع الزوائد 1/134: رجاله رجال الصحيح، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة 712/ 1، وصححه الوداعي في الصحيح المسند (501).

([5]) أساليب التشويق والتعزيز، (158).

([6]) المرجع السابق، (256).

([7]) المراهقون، (166).

ولذا لزم على الراحم في معالجته للمخطئ أن يحسن التشخيص للموقف، ويحسن التعامل في المعالجة؛ لأجل المساعدة على الرقي بحال المقابل. ويؤكد زهران على ضرورة "فهم طاقات الفرد، ومساعدته في التعرف على تنمية قدراته الاجتماعية، والانفعالية، والعقلية" [1]. ويتبع ذلك تحين الوقت المناسب في عملية الإقناع العقلي [2]، والتعامل بالحسنى، والقرب النفسي والعاطفي من المخطئ، يقول ابن حزم: "الاتساء بالنبي صلى الله عليه وسلم في وعظه أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب، فمن وعظ بالجفاء والاكفهرار؛ فقد أخطأ، وتعدى طريقته صلى الله عليه وسلم" [3].

4. الستر:

قد لا يدرك فئام من الناس مآلات ما يقعون فيه من أخطاء، أو تجاوزات بحق الله – تعالى – أو بحقوق الناس، قال ابن القيم: "وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، فضيعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب" [4].

وتبرز أهمية صفة الرحمة من خلال رحمتهم بالستر عليهم دون جرح لمشاعرهم، وبتقديم النصيحة لهم، والتصحيح لما هم فيه من خطأ بطريق التعميم؛ فإن "النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة" [5].ويقرر المدخلي "إن معالجة الخطأ قائم على أمرين، هما: النصح، والستر" [6]. والمذنب محتاج إلى عفو ربه عنه، وستره فلا ينفضح، ويعصمه؛ فلا يوقعه في نظيره [7].

([1]) علم النفس الاجتماعي، (390).
([2]) كيف تقنع الأخرين، (22 – 26).
([3]) مداراة النفوس، (73).
([4]) الجواب الكافي، (27).
([5]) الروح، (381).
([6]) فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السلف، (65).
([7]) تفسير القرآن العظيم، (2/ 91).

ويحدد ابن حزم مدى أثر التعميم في النصيحة والموعظة بطريقة مقبولة محببة إلى النفس، فقال: "ومن وعظ ببشر وتبسم ولين، وكأنه مشير برأي، ومخبر عن غير الموعوظ بما يستقبح من الموعوظ؛ فذلك أبلغ وأنجح في الموعظة" [1].

وبتوفر أسلوب الستر على المخطئ؛ يتحقق العديد من الأهداف، يذكر منها الأقصري: "أن نوفر للشباب الأمان، والعطف، والإحساس بالاستقلالية" [2]. وبملاحظة ذلك الأمر؛ يكون هناك رؤية فاحصة، وناقدة، ومشخصة لاختلاف أطياف البشر، واختلاف عقلياتهم، يقول المنصور حول ذلك: "تختلف أشكال التعامل بين أفراد المجتمع ضمن أطر قيمية، وبأساليب تكاملية مترابطة هادفة إلى تحقيق التطوير الشامل" [3].

([1]) مداراة النفوس، (74).

([2]) كيف نفهم الشباب ونتعامل معهم، (79).

([3]) العلاقات الإنسانية في الإسلام، (17)، بتصرف.

الخاتمة

نتائج البحث:

ظهر من خلال البحث ما يلي:

1. أن الرحمة صفة قلبية فطرية، ومكتسبة، ويظهر أثرها في صورة إحسان وتفضل على الناس عامة، والمخطئين على وجه الخصوص.
2. عظم رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وشمول إحسانه على جميع فئات المخطئين من المسلمين وغير المسلمين، سواء أكانوا جاهلين أم عالمين.
3. أن أوجه الإحسان المترتبة على الرحمة بالمخطئين تختلف وتتنوع حسب حالة المخطئ، فقد يكون الإحسان:

أ. هادفاً إلى تأليف القلب، إن كان غير مسلم، أو حديث عهد بإسلام.

ب. حازماً إن كان الخطأ من شخص عالم؛ أشعاراً بتعظيم حدود الله سبحانه وتعالى.

ج. متعاملاً بمداراة ولين إن كان المقابل جاهلاً، لتثبيت قلبه، وزيادة إيمانه، كما يوضحها الجدول التالي:

الصنف	غير مسلمين	المسلمون	
		عالمون	جاهلون
الأسلوب	البذل والإحسان	الحزم والجدية	المدارة واللين
الهدف	تأليف القلوب	تعظيم الشعائر	التثبيت

4. ظهور أثر الرحمة وأوجه الإحسان المترتبة عليها على ضبط العلاقات الإنسانية، وتهذيب الأخلاق، وحسن التصرف مع الآخرين، وتقليل المشكلات بين البشر؛ بل وإشاعة المحبة، والترابط، وزيادة اللحمة بين الأفراد في المجتمع.

توصيات البحث:

1. أهمية تلمس هدايات رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وأوجه إحسانه في معالجة أخطاء المخطئين في مختلف مصادر السنة النبوية، واستخراج القيم والمبادئ العلاجية للأخطاء من خلال المواقف والأحداث.
2. ضرورة مراعاة حالة المخطئ، وعمره، والقرائن التي تحيط بالموقف عند إرادة معالجة الأخطاء، وتحويل الموقف السلبي إلى سلوك إيجابي.
3. الاهتمام ببناء صفات الراحم، ممن يدعو إلى الله – سبحانه – خدمة للدعوة الإسلامية، ونشر الدين الإسلامي العظيم.
4. العناية بتعليم المسؤولين والقياديين وتدريبهم خاصة، والناس عامة على الأساليب الراحمة، وطرائق الإحسان المناسبة عند التعامل مع المخطئين من المرؤوسين أو المتربين.
5. تقرير أن تكون الرحمه وأوجه الإحسان المترتبة عليها بالمخطئين سلوكاً دائماً، حيوياً، مستمراً، ثابتاً بين الناس.

قائمة المراجع والمصادر

1. أبعاد أحاديث الرأفة بالعصاة وبغير المسلمين – دراسة تحليلية –، د. زياد محمد الخضير، مجلة كلية العلوم الإنسانية، ج7 – العدد 14 – 1، جامعة الموصل، 2013م.
2. الأخلاق الفاضلة. عبد الله الرحيلي. ط3، الرياض: وكالة المطبوعات، وزارة الشؤون الإسلامية، 1430هـ.
3. آداب الفتى. علي فكري. تحقيق: محمود الأرناؤوط، الرباط: منشورات الإيسسكو، 1428هـ.
4. إرشاد الساري شرح صحيح البخاري. القسطلاني، أحمد بن محمد .ط7، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، 1323هـ.
5. أساس البلاغة. الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر: دار الفكر، 1399هـ.
6. أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم. د. الحسين جرنو. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ.
7. الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مكناس – المغرب، د. إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مجلد م، 8، العدد 15، 1435هـ.
8. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، بيروت: دار الفكر، 1415هـ.
9. الانفعالات التشخيص والعلاج. أ. د. عبد العزيز النغيمشي. ط2، الرياض: دار الهدى، 1422هـ.
10. البحر المحيط. أبو حيان، محمد بن يوسف، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ.

11. التحرير والتنوير. ابن عاشور، الطاهر بن محمد. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.

12. تصفية القلوب من أدران الأوزار والذنوب، اليماني الذمار، يحيى بن حمزة، تحقيق: د. حسين الأهدل. ط3، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1415هـ.

13. التعريفات. الجرجاني، علي بن محمد. ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1413هـ.

14. تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. ط2: دار طيبة، 1420هـ.

15. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. النيسابوري، نظام الدين الحسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.

16. التوجيه غير المباشر وآثره في التربية وتغيير السلوك. صالح بن عبد الله بن حميد. ط1، الرياض: دار المسلم، 1414هـ.

17. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: أحمد شاكر. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ.

18. الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم الخفيش. ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ.

19. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط1، القاهرة: دار الريان للتراث، 1408هـ.

20. الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي. ط4، باكستان: إدارة ترجمان الإسلام، 1419هـ.

21. خصائص الرحمة عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم. د. عادل إسماعيل، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة عدد (68) ، 2014م.

22. الرحمة في القرآن الكريم. موسى بن عبده العسيري. ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1412هـ.

23. الروح. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. ط4، بيروت: دار الكتاب العربي، 1410هـ.

24. روضة الأنوار في سيرة النبي المختار. صفي الرحمن المباركفوري، ط2، الرياض: دار السلام، 1415هـ.

25. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها. محمد ناصر الدين الألباني، ط1، مكتبة المعارف.

26. السيرة النبوية الصحيحة. د. أكرم ضياء العمري. ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 1416هـ.

27. شباب الصحابة رضي الله عنهم مواقف وعبر. محمد الدويش. ط2، الرياض: دار الوطن، 1419هـ.

28. شرح صحيح البخاري. ابن بطال، علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط2، الرياض: مكتبة الرشد، 1423هـ.

29. الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى. اليحصبي، أبو الفضل عياض. ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 1422هـ.

30. صحيح البخاري. أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري. تركيا: المكتبة الإسلامية، 1315هـ.

31. الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين، مقبل بن هادي الوادعي، ط1، صنعاء: مكتبة دار القدس (1411هـ).

32. صحيح مسلم بشرح النووي. أبو زكريا، يحي بن شرف. بيروت: دار أفكر، 1401هـ.

33. صيد الخاطر. ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض. ط5، بيروت: دار الكتاب العربي، 1414هـ.

34. العلاقات الإنسانية في الإسلام. خالد منصور المنصور. ط2، الرياض: مكتبة التوبة، 1413هـ.

35. العلاقة بين الطالب والمعلم. د. محمود إسماعيل عمار. ط1، الرياض: دار المسلم، 1415هـ.

36. علم النفس الاجتماعي. د. حامد زهران. ط5، القاهرة: عالم الكتب، 1984هـ.

37. علم النفس الدعوي. د. عبد العزيز بن محمد النغيمشي. ط1، الرياض: دار المسلم، 1415هـ.

38. علم نفس الفروق الفردية وتطبيقاتها التربوية. د. أحمد محمد الزغبي. ط1، دمشق: دار الفكر، 1428هـ.

39. علم نفس النمو. د. حامد زهران. ط5، القاهرة: عالم الكتب، 1995م.

40. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري. العيني. أبو محمد، محمود بن أحمد. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

41. عوارض الأهلية عند الأصوليين، حسين خلق الجبوري، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، 1408هـ.

42. فتح البارئ شرح صحيح البخاري، أبو الفضل العسقلاني، أحمد بن علي، صححه محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

43. فقه التعامل مع الأخطاء على ضوء منهج السلف. د. عبد الرحمن المدخلي. ط1، الرياض: دار المعارج، 1419هـ.

44. فن التعامل مع الناس. د. عبد الله الخاطر. ط1، لندن: المنتدى الإسلامي، 1413هـ.

45. فن التوصل مع الناس. د. حسن رقيق. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2009م.

46. فوائد في آداب المعلمين والمتعلمين. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط1، الرياض: دار الحميضي، 1414هـ.

47. القاموس المحيط. الفيروز آبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب. ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ.

48. كيف تحاور. د. طارق الحبيب. ط4، الرياض: دار المسلم، 1418هـ.

49. كيف تحصل على أفضل ما لدى الآخرين. محمد ديماس. ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1421هـ.

50. كيف تقنع الآخرين. عبد الله العوشن. ط1، الرياض: دار العاصمة، 1413هـ.

51. كيف نفهم الشباب ونتعامل معهم. يوسف الأقصري. ط1، القاهرة: دار الطائف، 2002م.

52. مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي (1976).

53. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطيه، عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ.

54. مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد البغدادي، ط7، دار الكتاب العربي، 2003م.

55. مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق. ابن الحزم، علي بن أحمد الظاهري، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. (ب. ت).

56. المراهقون. د. عبد العزيز النغيمشي. ط1، الرياض: دار طيبة، 1411هـ.

57. مرعاه أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة. د. فضل ألهى. ط1، باكستان: إدارة ترجمان القرآن، 1417هـ.

58. المعجم الموسوعي لعلوم التربية. د. أحمد أوزي، ط1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1427هـ.

59. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو. ط2، بيروت: دار الفكر، 1418هـ.

60. المفردات في غريب القرآن. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسن بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة. (ب. ت).

61. هل كان محمد صلى الله عليه وسلم رحيماً؟ محمد حسام الدين خطيبة، البرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة، التابع لرابطة العالم الإسلامي، 2007م.